كيف تُحوّل إرتريا سهولها المُغبرة إلى سدود ضبابية

أسمرة (إرتريا) 5 أغسطس 2025 -APA

وكالة أفريقيا للأنباء

عملية التغيير تسير بهدوء في قرى المناطق الداخلية الجافة في ارتريا. فحيث كانت الأنهار الموسمية تفيض وتختفي دون أثر، أصبحت السدود المبنية يدويًا تحجز الآن كميات كبيرة من المياه، و تُغذي قنوات الري المحاصيل حتى في أشهر الجفاف.

اعتمدت إرتريا، إحدى أكثر دول القرن الأفريقي عُرضةً للجفاف، نهجًا مباشرًا لمعالجة شح المياه، ببناء السدود - العديد منها هياكل حجرية صغيرة - باستخدام مواد محلية وعمالة وطنية. قامت البلاد بدعم من المساعدة الفنية والتمويل المُيسّر من البنك الأفريقي للتنمية، ببناء أو إعادة تأهيل أكثر من 880 سدًا، معظمها في المناطق الريفية والمناطق المحرومة من الخدمات. نتيجةً لذلك، تتطلع المجتمعات التي اعتمدت طويلًا على هطول الأمطار غير المنتظم إلى المستقبل بثقة وحماس متجددين.

يتذكر بخيت إدريس حياةً اتسمت بمخاوف دائمة من ندرة الغذاء، وسوء التغذية قبل بناء سد قرب موطنه في غوريتاتال، وسط إرتريا. ويوضح إدريس: "كانت محاصيلنا تعتمد على المطر. أصبحت الأمطار غير منتظمة وغير موزعة بالتساوي، ولكن بعد المشروع، قمت بزراعة أرض أسفل السد". وهو الآن يزرع محاصيل الحبوب والخضراوات والفواكه والأعلاف الخضراء لتغذية الماشية.

ويردف: "أحصد الآن ثلاث مرات في السنة، بعد أن كانت مرة واحدة فقط في السنة من قبل. قبل بناء السد، كان إنتاجنا الغذائي بالكاد يكفي احتياجاتنا... أما الآن، فأنا أنتج ما يكفي ليس فقط لإطعام عائلتي، بل أيضًا لبيعه في السوق. وقد حسّن هذا بشكل كبير من تغذيتنا ودخل أسرتنا". منذ عام ٢٠١٥، يدعم بنك التنمية الأفريقي هذا الجهد من خلال برنامج مواجهة الجفاف وسبل العيش المستدامة، الذي يهدف إلى الحد من الهشاشة في منطقة القرن الأفريقي. في إرتريا، موّل المشروع بناء ٩٨ سدًا صغيرًا ومتوسط الحجم، و١١ نقطة توزيع مياه ذات صلة. كما أعاد تأهيل أكثر من ٢٠٠ هكتار من الأراضي التي تعرض لموجات الجفاف.

ان تحسين توافر المياه ليس سوى إحدى النتائج الملموسة. بالإضافة إلى ذلك، ساهم المشروع في نقل المجتمعات من زراعة الكفاف إلى ممارسات زراعية أكثر استدامةً وتجارية، مما حسّن حالة الأمن الغذائي وسبل العيش في جميع أنحاء البلاد.

بناء أكثر من 116 سدًا حجريًا لدعم الزراعة المروية. تتراوح سعة DSLRP يستهدف مشروع السدود بين 30,000 متر مكعب وأكثر من 110,000 متر مكعب، مما يسمح للمزارعين المحليين في المناطق المستهدفة في وسط وجنوب وشمال إريتريا بإنتاج كميات وفيرة من الخضراوات والحبوب. كما عزز المشروع التدريب على مهارات جديدة وتشجيع ريادة الأعمال لتحفيز تطوير سلسلة القيمة الشاملة. علاوة على ذلك، يزود البرنامج المزارعين بأنواع مختلفة من المدخلات الزراعية التي تمكنهم من تحسين الإنتاج وزيادة الإنتاجية لكل وحدة مساحة.

تنظر المجتمعات المدعومة إلى هذه المبادرة كخطوة إلى الأمام في جهود إرتريا الأوسع نطاقًا لتعزيز المرونة الريفية، وتحسين التغذية، والحد من الفقر.

حامد مسكل، مزارع يستفيد من سد أدرده في المنطقة الشمالية، كان يمارس الري على نطاق ضيق بكمية محدودة من المياه قبل بدء مشروع DSLRP.

قال: "كانت الأمور تتدهور ببطء مع جفاف الآبار في المنطقة. اضطررت للتوقف عن زراعة المحاصيل، لكنني استأنفتها. بفضل بناء هذا السد، أصبحت المياه متوفرة الآن."

تباهى مسكل بفخر بحصاده نصف السنوي من الخضراوات والفواكه والأعلاف الحيوانية، مع زيادة إجمالية في وحدة المساحة تبلغ حوالي 30%. كما تُعدّ مزرعة مسكل بمثابة قطعة أرض نموذجية لحوالي 350 أسرة زراعية أخرى في المنطقة.

يعتمد حوالي 73% من الإرتريين على الزراعة والحقول المرتبطة بها في الدخل والعمل. وفقًا لكينيث أونيانغو، كبير مسؤولي البرامج القطرية في مكتب اتصال البنك الدولي في إريتريا، "ساهم هذا المشروع بشكل كبير في توسيع فرص الزراعة والأعمال الزراعية في المناطق الريفية في إريتريا كوسيلة لتعزيز سبل العيش الريفية والتنمية الاقتصادية."

وأضاف أن المشروع يتمحور حول المشاركة المجتمعية، مما سمح بتحقيق الإنجازات في وقت أبكر مما كان مخططًا له. وأكد أونيانغو: "تشهد المجتمعات المحلية نتائج ملموسة، ونرى تغيرات في سبل العيش تتجلى في اعتماد الزراعة على نطاق أوسع كمصدر دخل للعديد من الأسر في المجتمعات المستهدفة."

ومن المقرر أن يستمر البرنامج، في مرحلته الخامسة، حتى ديسمبر 2026.

على أرض الواقع، جلبت المياه أكثر من مجرد الغذاء. كما ازداد شعور المجتمعات المحلية بالأمن في ظل مناخ متغير. كما ترسخت جذور الأمل.

وقال هادغو جيبريندرياس، منسق مشروع DRSLP: "نحن سعداء للغاية بهذه المبادرة، التي كان لها دور فعال للغاية في تحسين سبل عيش المجتمع بما يتماشى مع الخطة الاستراتيجية الخمسية لوزارة الزراعة". وأضاف أن بناء 98 سدًا حجريًا حتى الآن قد شجع على بناء هياكل جديدة للحفاظ على التربة والمياه على مساحة تزيد عن 9800 هكتار أعلى منبع السدود في جميع مناطق إرتريا الست خلال السنوات الخمس الماضية. وأشار جبريندرياس إلى أن "هذا ساهم بشكل كبير في تعزيز القدرة على مواجهة الجفاف، وتحسين سبل العيش المستدامة، وتعزيز الأمن الغذائي والتغذوي - لا سيما بين المجتمعات الرعوية والزراعية الرعوية في إرتريا."